بسم الله الرحمن الرحيم

السمة الثالثة:

وسطية أهل السنة والجماعة بين الفِرق والطوائف:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ **في "مجموع الفتاوىٰ"** (3/ 370): وَهَذِهِ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ "أَهْلُ السُّنَّةِ" وَهُمْ وَسَطٌ فِي النِّحَلِ ، كَمَا أَنَّ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ وَسَطٌ فِي الْمِلَلِ.اهـ

وقال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ **في كتابه "الموافقات"** (2/ 279): الشَّرِيعَةُ جَارِيَةٌ فِي التَّكْلِيفِ بِمُقْتَضَاهَا عَلَىٰ الطَّرِيقِ الْوَسَطِ الْأَعْدَلِ، الْآخِذِ مِنَ الطَّرَفَيْنِ بِقِسْطٍ لَا مَيْلَ فِيهِ ، الدَّاخِلِ تَحْتَ كَسْبِ الْعَبْدِ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ عَلَيْهِ وَلَا انْحِلَالٍ ، بَلْ هُوَ تَكْلِيفٌ جارٍ عَلَىٰ مُوَازَنَةٍ تَقْتَضِي فِي جَمِيعِ الْمُكَلَّفِينَ غَايَةَ الِاعْتِدَالِ.اهـ

وقال العلامةُ ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **في "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان"** (1/ 182): فدينُ الله بين الغالي فيه والجافي عنه. وخير الناس النمط الأوسط، الذين ارتفعوا عن تقصير المفرطين، ولم يلحقوا بغلو المعتدين، وقد جعل الله سبحانه هذه الأمة وسطًا، وهي الخيار العدل، لتوسطها بين الطرفين المذمومَين، والعدل هو الوسط بين طرفي الجور والتفريط. والآفات إنما ينتظرون إلىٰ الأطراف، والأوساط محمية بأطرافها، فخيار الأمور أوساطها. قال الشاعر:

كانَتْ هِيَ الوَسَطُ المَحْمِيُّ فَاكْتَنَفَتْ بِهَا الحَوَادِثُ حَتَّىٰ أَصْبَحَتْ طَرَفَا

أولاً: دعوة القرآنِ الكريم إلىٰ الوسطية.

لقد جاء القرآن الكريم والسُّنَّة المطهَّرة بالتأكيد علىٰ لزوم التوسُّط والاعتدال، ومجانبةِ طرفي الغلوِّ والجفاء في جميع جوانب الدِّين، **قال الله تعالىٰ: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾**. [الإسراء: 29]

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسير القرآن العظيم": يَقُولُ تَعَالَىٰ آمِرًا بِالِاقْتِصَادِ فِي الْعَيْشِ، ذَامًّا لِلْبُخْلِ، نَاهِيًا عَنِ السَّرَف: ﴿**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ**﴾. أَيْ: لَا تَكُنْ بَخِيلًا مَنُوعًا، لَا تُعْطِي أَحَدًا شَيْئًا، كَمَا قَالَتِ الْيَهُودُ عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللهِ: ﴿**يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ**﴾. [الْمَائِدَةِ: 64] أَيْ: نَسَبُوهُ إِلَىٰ الْبُخْلِ، تَعَالَىٰ وَتَقَدَّسَ الْكَرِيمُ الْوَهَّابُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿**وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**﴾ أَيْ: وَلَا تُسْرِفْ فِي الْإِنْفَاقِ فَتُعْطِيَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، وَتُخْرِجَ أَكْثَرَ مِنْ دَخْلِكَ؛ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا. اهـ

وقال عز وجل: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**﴾. [الفرقان: 67]

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «**تفسير القرآن العظيم**» (5/ 70): أَيْ: لَيْسُوا بِمُبَذِّرِينَ فِي إِنْفَاقِهِمْ فَيَصْرِفُونَ فَوْقَ الْحَاجَةِ، وَلَا بُخَلَاءَ عَلَىٰ أَهْلِيهِم فَيُقَصِّرُونَ فِي حَقِّهِمْ فَلَا يَكْفُونَهُمْ، بَلْ عَدْلا خِيَارًا، وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا، لَا هَذَا وَلَا هَذَا. اهـ

وقال جل وعلا: ﴿**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ**﴾. [لقمان: 19]

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ «**السابق**» (6/ 339): أَيِ: امْشِ مَشْيًا مُقْتَصِدًا لَيْسَ بِالْبَطِيءِ الْمُتَثَبِّطِ، وَلَا بِالسَّرِيعِ الْمُفْرِطِ، بَلْ عَدْلًا وَسَطًا بَيْنَ بَيْنَ.

ثانيـًا: دعوة السُّنةِ النبويةِ إلىٰ الوسطيةِ:

أخرج البخاري(رقم: 5982)، وأحمد (رقم: 10677) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ. قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا، وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنْ الدُّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا».

قال الحافظُ ابنُ حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في « **فتح الباري شرح صحيح البخاري**» (1/ 94، 95): الْمَعْنَىٰ: لَا يَتَعَمَّقُ أَحَدٌ فِي

الْأَعْمَالِ الدِّينِيَّةِ وَيَتْرُكُ الرِّفْقَ إِلَّا عَجَزَ وَانْقَطَعَ فَيُغْلَبُ. قَالَ ابن الْمُنِيرِ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ، فَقَدْ رَأَيْنَا وَرَأَىٰ النَّاسُ قَبْلَنَا أَنَّ كُلَّ مُتَنَطِّعٍ فِي الدِّينِ يَنْقَطِعُ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ مَنْعَ طَلَبِ الْأَكْمَلِ فِي الْعِبَادَةِ؛ فَإِنَّهُ مِنَ الْأُمُورِ الْمَحْمُودَةِ، بَلْ مَنْعُ الْإِفْرَاطِ الْمُؤَدِّي إِلَىٰ الْمَلَالِ، أَوِ الْمُبَالَغَةِ فِي التَّطَوُّعِ الْمُفْضِي إِلَىٰ تَرْكِ الْأَفْضَلِ، أَوْ إِخْرَاجِ الْفَرْضِ عَنْ وَقْتِهِ، كَمَنْ بَاتَ يُصَلِّي اللَّيْلَ كُلَّهُ وَيُغَالِبُ النَّوْمَ إِلَىٰ أَنْ غَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ فَنَامَ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ فِي الْجَمَاعَةِ، أَوْ إِلَىٰ أَنْ خَرَجَ الْوَقْتُ الْمُخْتَارُ، أَوْ إِلَىٰ أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ فَخَرَجَ وَقْتُ الْفَرِيضَةِ. وَفِي حَدِيثِ مِحْجَنِ بْنِ الْأَدْرَعِ عِنْدَ أَحْمَدَ: «إِنَّكُمْ لَنْ تَنَالُوا هَذَا الْأَمْرَ بِالْمُغَالَبَةِ، وَخَيْرُ دِينِكُمُ الْيَسَرَةُ». وَقَدْ يُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الْإِشَارَةُ إِلَىٰ الْأَخْذِ بِالرُّخْصَةِ الشَّرْعِيَّةِ؛ فَإِنَّ الْأَخْذَ بِالْعَزِيمَةِ فِي مَوْضِعِ الرُّخْصَةِ تَنَطُّعٌ...

وَقوله فِي رِوَايَة بن أَبِي ذِئْبٍ: «الْقَصْدَ، الْقَصْدَ» بِالنَّصْبِ فِيهِمَا عَلَىٰ الْإِغْرَاءِ. وَالْقَصْدُ الْأَخْذُ بِالْأَمْرِ الْأَوْسَطِ. وَمُنَاسَبَةُ إِيرَادِ الْمُصَنِّفِ لِهَذَا الْحَدِيثِ عَقِبَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي قَبْلَهُ ظَاهِرَةٌ؛ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تَضَمَّنَتِ التَّرْغِيبَ فِي الْقِيَامِ وَالصِّيَامِ وَالْجِهَادِ، فَأَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ الْأَوْلَىٰ لِلْعَامِلِ بِذَلِكَ أَنْ لَا يُجْهِدَ نَفْسَهُ، بِحَيْثُ يَعْجِزُ، وَيَنْقَطِعُ، بَلْ يَعْمَلُ بِتَلَطُّفٍ، وَتَدْرِيجٍ؛ ليدوم عملُه وَلَا يَنْقَطِع. اهـ

أخرج أحمد (رقم: 22963)، وصححه العلامةُ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في: «صحيح الجامع» (رقم: 4086) وَعَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْتُ ذَاتَ يَوْمٍ لِحَاجَةٍ، فَإِذَا أَنَا بِالنَّبِيِّ ﷺ يَمْشِي بَيْنَ يَدَيَّ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَانْطَلَقْنَا نَمْشِي جَمِيعًا، فَإِذَا نَحْنُ بَيْنَ أَيْدِينَا بِرَجُلٍ يُصَلِّي يُكْثِرُ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَرَاهُ يُرَائِي؟» فَقُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَتَرَكَ يَدِي مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ جَمَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يُصَوِّبُهُمَا وَيَرْفَعُهُمَا وَيَقُولُ: «عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا، عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا، عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا؛ فَإِنَّهُ مَنْ يُشَادَّ هَذَا الدِّينَ يَغْلِبْهُ».

أخرج أحمد (رقم: 6694)، واللفظ له، والنسائي في «الكبرىٰ» (رقم: 2340)، وصححه العلامة أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ في تحقيقه للمسند: (رقم: 6693) عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كُلُوا، وَاشْرَبُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَالْبَسُوا، غَيْرَ مَخِيلَةٍ، وَلَا سَرَفٍ»، وَقَالَ يَزِيدُ مَرَّةً: «فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ، وَلَا مَخِيلَةٍ».

ثالثًا: أقوال السلف في الدعوة إلىٰ الوسطية:

قال أبو سليمان الخطَّابي رَحِمَهُ اللَّهُ **في كتابه «العزلة» (ص: 97):**

وَلا تَغْلُ فِي شَيْءٍ مِنَ الأَمْرِ وَاقْتَصِدْ كِلا طَرَفَيْ قَصْدِ الأُمُورِ ذَمِيمُ

تَمْيِيزُ الله أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ بِالْوَسَطِيَّةِ.

إنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ تمتازُ بميزاتٍ جليلة وخصائص عظيمة تظهرُ حسنها، وتبرز كمالها وجمالها، ومن جملة هذه الخصائص كونها وسطًا بين الغلوِّ والجفاء، والإفراط والتفريط، والزيادة والنقصان، **قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَىٰ النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾**. [البقرة: 143]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ **في «الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح» (1/ 69):** كَمَا جَعَلَ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، فَهُمْ يُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً هُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَىٰ اللهِ مِنْ جَمِيعِ الْأَجْنَاسِ، هَدَاهُمُ اللهُ بِكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ قَبْلَهُمْ، وَجَعَلَهُمْ وَسَطًا عَدْلًا خِيَارًا، فَهُمْ وَسَطٌ فِي تَوْحِيدِ اللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَفِي الْإِيمَانِ بِرُسُلِهِ، وَكُتُبِهِ، وَشَرَائِعِ دِينِهِ، مِنَ الْأَمْرِ، وَالنَّهْيِ، وَالْحَلَالِ، وَالْحَرَامِ.

فضائلُ الوسطية، وخطورةُ الغلوِّ والجفاءِ.

الفضيلة الأولىٰ: الوسطيةُ طريقُ السَّبْقِ.

أخرج البخاري (رقم: 6739) عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ: اسْتَقِيمُوا، فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا».**

الثانية: ترك الوسطية تضييعٌ لأوامر الله تعالىٰ:

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **في «الوابل الصيب من الكلم الطيب»:** وما أمر الله عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه

نزغتان: إما تقصير وتفريط، وإما افراط وغلو. فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين، فإنه يأتي إلىٰ قلب العبد فيستامه، فإن وجد فيه فتوراً وتوانيًا وترخيصًا أخذه من هذه الخطة، فثبَّطه وأقعده، وضربه بالكسل والتواني والفتور، وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك، حتىٰ ربما ترك العبد المأمورَ جملة.

وإن وجد عنده حَذَراً وجِدًّا وتشميراً ونهضة، وأَيِسَ أن يأخذه من هذا الباب، أمره بالاجتهاد الزائد، وسول له أن هذا لا يكفيك، وهمتُك فوق هذا، وينبغي لك أن تزيد علىٰ العاملين، وأن لا ترقد إذا رقدوا، ولا تفطر إذا أفطروا، وأن لا تفتر إذا فتروا، وإذا غسل أحدهم يديه ووجهه ثلاث مرات فاغسل أنت سبعًا، وإذا توضأ للصلاة فاغتسل أنت لها، ونحو ذلك من الإفراط والتعدي، فيحمله علىٰ الغلو والمجاوزة وتعدي الصراط المستقيم، كما يحمل الأولَ علىٰ التقصير دونه وأن لا يقربه، ومقصودٌ من الرجلين إخراجُهما عن الصراط المستقيم: هذا بأن لا يقربه ولا يدنو منه، وهذا بأن يجاوزه ويتعداه.

وقد فَتن بهذا أكثرَ الخلق، ولا ينجي من ذلك إلا علمٌ راسخٌ، وإيمانٌ، وقوةٌ علىٰ محاربته، ولزومُ الوسطِ.

الثالثة: الدّينُ الوسَط هو الطريق الذي سلكه أهل الفضل والشرف، ممن أنعم الله عليهم من النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين.

قال الله تعالىٰ مرشداً عباده إلىٰ طلب الهداية منه في سورة الفاتحة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. [الفاتحة:6، 7] فمَن اقتفىٰ أثر المنعَم عليهم فهو علىٰ الطريق الوسط المستقيم، ومن خالفهم في هديهم فقد انحرف عن الطريق المستقيم، إما إلىٰ إفراط وإما إلىٰ تفريط. وقد قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾. [المؤمنون:74].

الرابعة: تركُ الوسطية طريقُ الشقاء، وسببٌ في غضب الله تعالىٰ.

قال الله تعالىٰ: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ

هَوَىٰ﴾.[طه:81]

قال الحافظُ ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ **في «تفسير القرآن العظيم»** (5/ 308): أَيْ: كُلُوا مِنْ هَذَا [الرِّزْقِ] الَّذِي رَزَقْتُكُمْ، وَلَا تَطْغَوْا فِي رِزْقِي، فَتَأْخُذُوهُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ، وَتُخَالِفُوا مَا آمُرُكُمْ بِهِ، ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ أَيْ: أَغْضَبُ عَلَيْكُمْ ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾. قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَيْ: فَقَدْ شَقِيَ.

مظاهرُ الغلوِّ:

التنطع في الدين: من مظاهر التنطع في هذا العصر الخروجُ عن منهج الاعتدال في الدين، الذي كان عليه النبي ﷺ،

وقد حذر النبي ﷺ من ذلك فيما أخرجه البخاري (رقم: 38) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ، وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ».

والتشدد في الدين كثيرًا ما ينشأ عن قلة الفقه فيه، وهو من أبرز سمات الخوارج، كما روى الشيخان عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «... يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ... ». **الحديث.**

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ **في «المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج»** (3/ 176): مَعْنَاهُ: أَنَّ قَوْمًا لَيْسَ حَظّهمْ مِنْ الْقُرْآن إِلَّا مُرُوره عَلَىٰ اللِّسَان فَلَا يُجَاوِز تَرَاقِيهمْ لِيَصِل قُلُوبهمْ، وَلَيْسَ ذَلِكَ هُوَ الْمَطْلُوب، بَلْ الْمَطْلُوب تَعَلُّقه وَتَدَبُّره بِوُقُوعِهِ فِي الْقَلْب.

التعالي والغرور، وما يؤدي إليه من تصدر الأحداث:

من السمات البارزة في ظاهرة الغلو في الوقت المعاصر: التعالي والغرور، وادعاءُ العلم، في حين أنك تجد أحدهم لا يعرف بديهيات العلم الشرعي، والأحكام وقواعد الدين، أو قد يكون عنده علم قليل، بلا أصول ولا ضوابط

ولا فقه ولا رأي سديد، ويظن أنه بعلمه القليل وفهمه السقيم قد حاز علوم الأولين والآخرين، فيستقل بغروره علم العلماء، ويقعد عن مواصلة طلب العلم فيَهلِك بغروره ويُهلك، وهكذا كان الخوارج الأولون يدَّعون العلم والاجتهاد، ويتطاولون علىٰ العلماء وهم من أجهل الناس.

وأدىٰ التعالم والغرور إلىٰ تصدر حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام للدعوة بلا علم ولا فقه، فاتخذ بعض الناس منهم رؤوسًا جُهالاً، فأفتوا بغير علم وحكموا في الأمور بلا فقه، وواجهوا الأحداث الجسام بلا تجربة ولا رأي، ولا رجوع إلىٰ أهل العلم والفقه والتجربة والرأي، بل كثير منهم يتنقص العلماء والمشايخ، ولا يعرف لهم قدرهم، وإذا أفتىٰ بعض المشايخ علىٰ غير هواه، يلمزه: إما بالقصور أو التقصير، أو الجبن والمداهنة، أو بالسذاجة وقلة الوعي والإدراك، ونحو ذلك مما يحصل بإشاعته الفرقةُ والفساد العظيم، وغرسُ الغل علىٰ العلماء، والحطُّ مِن قدرهم، وغير ذلك مما يعود علىٰ المسلمين بالضرر البالغ في دينهم ودنياهم.

الاستبداد بالرأي، وتجهيل الآخرين:

من أبرز معالم الغلو حديثًا التعصب للرأي ، وعدم الاعتراف برأي الآخرين، وإنكار ما عندهم من الحق ما دام خالفه في الرأي، ومن الأسباب التي تولد التعصب للرأي والانحياز له، قلة العلم.

الإعجاب بالرأي، واتباع الهوىٰ:

قال أبو الفرج ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ **في «تلبيس إبليس»**: هَذَا الرَّجُل يقال لَهُ ذو الخويصرة التميمي، وفي لفظ أنه قَالَ لَهُ: « اعْدِلْ»، فَقَالَ: «**ويلك، ومَنْ يَعْدِلْ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ**». **فهذا أول خارجي خرج فِي الإسلام، وآفته أنه رضي برأي نفسه**، ولو وقف لعَلِم أنه لا رأي فوق رأي رَسُول اللهِ ﷺ.

الطعن في العلماء العاملين:

وهذا داءٌ خطيرٌ. ذكرَ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «سير أعلام النبلاء» **عنِ ابْنِ المُبَارَكِ** رَحِمَهُ اللَّهُ **قال: مَنِ اسْتَخَفَّ بِالعُلَمَاءِ، ذَهَبَتْ**

آخِرَتُهُ، وَمَنِ اسْتَخَفَّ بِالأُمَرَاءِ، ذَهَبتْ دُنْيَاهُ، وَمَنِ اسْتَخَفَّ بِالإِخْوَانِ، ذَهَبتْ مُرُوءتُهُ.

وقال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ **في «العقيدة الطحاوية» (ص: 82)**: وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ- أَهْلُ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ، وَأَهْلُ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ -، لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَىٰ غَيْرِ السَّبِيلِ.

وقال الحافظ ابن عساكر رَحِمَهُ اللَّهُ **في «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلىٰ الإمام أبي الحسن الأشعري» (ص: 9)**: وَاعْلَم يَا أخي وفقنَا الله وَإِيَّاك لمرضاته، مِمَّن يخشاه ويتقيه حق تُقَاته: إِن لُحُوم الْعلمَاء رَحْمَة الله عَلَيْهِم مَسْمُومَة، وَعَادَة الله فِي هتك أَسْتَار منتقصيهم مَعْلُومَة؛ لِأَن الوقيعة فيهم بِمَا هم مِنْهُ برَاء أمره عَظِيم، والتنَاول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاق علىٰ من اخْتَارَهُ الله مِنْهُم لنعش الْعلم خلق ذميم، والاقتداء بِمَا مدح الله بِهِ قَول المتبعين من الاسْتِغْفَار لمن سبقهمْ وصف كريم، إِذْ قَالَ مثنيا عَلَيْهِم فِي كِتَابه وَهُوَ بمكارم الْأَخْلَاق وضدها عليم: ﴿وَالَّذين جاؤوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِلَّذين آمنُوا رَبنَا إِنَّك رؤوف رَحِيم﴾. [الحشر: 10]

تحذيرُ الكتابِ والسُّنةِ من الغلوِّ.

أولاً: التحذير من الغلو في القرآن الكريم:

قال الله تعالىٰ: ﴿لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَىٰ اللهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾. [النساء: 171]

وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾. [المائدة: 77]

وقال عز وجل: ﴿وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾. [طه: 81]

وقال تبارك وتعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾. [النازعات: 37 - 39] وقال جل وعلا: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. [هود: 112]

ثانيًا: التحذير من الغلو في السُّنة النبوية:

أخرج أحمد (رقم: 15529)، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (3057) عَنْ أَبِي رَاشِدٍ الْحَبْرَانِيِّ قَالَ: قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شِبْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، وَلَا تَغْلُوا فِيهِ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ، وَلَا تَسْتَكْثِرُوا بِهِ».

أخرج أحمد (رقم: 1851)، وابنُ ماجه (رقم: 3020)، والنسائي في «الكبرىٰ» (رقم: 4063). وصححه العلامة أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ في تحقيقه للمسند (رقم: 1851) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ غَدَاةَ جَمْعٍ: «هَلُمَّ الْقُطْ لِي» فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَىٰ الْخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعَهُنَّ فِي يَدِهِ، قَالَ: «نَعَمْ بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ».

أخرج ابنُ وضاحٍ في « البدع والنهي عنها » (رقم: 1)، والآجري في «الشريعة» (1/ 268)، وغيرهما. والحديث صححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «المشكاة» (رقم: 248) عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعُذْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ».

أسبابُ الغلوِّ.

السبب الأول: الجهل المركَّبُ (وهو مَن جَهِلَ، وجَهِلَ أنه جَهِلَ).

وهو صفةُ أهلِ الغلوِّ، أخرج الشيخان وغيرهما عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ:«... إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ

هَذَا، أَوْ فِي عَقِبِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنْ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ».

وهذا النوع أشد خطرًا مِن صاحب الجهل البسيط؛ إذ إنَّ الجاهل البسيطَ يدرك جهله، ويسعىٰ لعلاجه بالسؤال،

بخلاف هذا، وقد نبَّه الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الاعتصام» (2/ 679) علىٰ هذه الطائفة وخطرِها، فقال في إطار ذكره لأسباب الابتداع المفضي إلىٰ التفرق: «أَنْ يَعْتَقِدَ الْإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ أَوْ يُعْتَقَدَ فِيهِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالِاجْتِهَادِ فِي الدِّينِ ـ وَلَمْ يَبْلُغْ تِلْكَ الدَّرَجَةَ ـ فَيَعْمَلُ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَيَعُدُّ رَأْيَهُ رَأْيًا وَخِلَافَهُ خِلَافًا».

السبب الثاني: التزهيد في الرجوع إلىٰ العلماء في فهم كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ: أخرج ابن حبان في «صحيحه» (2/ 319) (رقم: 559)، وأخرجه الحاكم (1/ 62)، وقال: صحيح علىٰ شرط البخاري، ووافقه الذهبي، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (8/ 171، 172)، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (رقم: 1778) عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «البَرَكَةُ مع أكَابِرِكُمْ».

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ في «**فيض القدير شرح الجامع الصغير**» (3/ 287): «البَرَكَةُ مع أكَابِرِكُمْ»: المجربين للأمور، المحافظين علىٰ تكثير الأجور، فجالسوهم؛ لتقتدوا برأيهم، وتهتدوا بهديهم. أو المراد من له منصب العلم وإن صغر سنه فيجب إجلالهم؛ حفظا لحرمة ما منحهم الحق سبحانه وتعالىٰ.

أخرج ابنُ عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (1/ 166- رقم: 1057)، والبيهقي في «المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ» (1/ 217- رقم: 275) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا أَخَذُوا الْعِلْمَ عَنْ أَكَابِرِهِمْ، فَإِذَا أَخَذُوهُ عَنْ أَصَاغِرِهِمْ وَشِرَارِهِمْ هَلَكُوا».

السبب الثالث: اتباع الهوىٰ: قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾. [المائدة: 77]

قال الحافظُ ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسير القرآن العظيم» (3/ 159): أَيْ: لَا تُجَاوِزُوا الْحَدَّ فِي اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَلَا تُطْرُوا مَنْ أُمِرْتُمْ بِتَعْظِيمِهِ فَتُبَالِغُوا فِيهِ، حَتَّىٰ تُخْرِجُوهُ عَنْ حَيِّزِ النُّبُوَّةِ إِلَىٰ مَقَامِ الْإِلَهِيَّةِ، كَمَا صَنَعْتُمْ فِي الْمَسِيحِ، وَهُوَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَجَعَلْتُمُوهُ إِلَهًا مِنْ دُونِ اللهِ؛ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِاقْتِدَائِكُمْ بِشُيُوخِ الضَّلَالِ، الَّذِينَ هُمْ سَلَفُكُمْ مِمَّنْ ضَلَّ قَدِيمًا.

﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ أَيْ: وَخَرَجُوا عَنْ طَرِيقِ الِاسْتِقَامَةِ وَالِاعْتِدَالِ، إِلَىٰ طَرِيقِ الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالِ.

أضرارُ الغلوِّ.

الضرر الأول: الغلو سببٌ في التفرق والاختلاف.

لقد غلا الشيعة في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفي أئمتهم؛ حتىٰ قالوا بعصمتهم. وكذا غلا الخوارج والمعتزلة في آيات الوعيد، حتىٰ كفَّروا المسلمين بالكبائر؛ مما أدَّىٰ إلىٰ تنازع المسلمين واختلافهم.

الضرر الثاني: الغلو طريق الهلكةِ:

أخرج مسلم (رقم: 4823)، وأبو داود (رقم: 3992)، وأحمد (رقم: 3655) عَنْ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ. قَالَهَا ثَلَاثًا».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ «المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج» (9/ 26): أَيْ الْمُتَعَمِّقُونَ، الْغَالُونَ، الْمُجَاوِزُونَ الْحُدُود فِي أَقْوَالهمْ وَأَفْعَالهمْ.

علاجِ الغلوِّ.

العلاج الأول: الاعتصام بالكتاب والسنة.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾. [آل عمران: 103]

أخرج مسلم (رقم: 2137)، وهو جزءٌ من حديث جابر ﷺ الطويل في صفة حجة النبي ﷺ عَنْ جَابِرٍ ﷺ عَنِ النبيِّ ﷺ قال: «... وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ الله... ».

العلاج الثاني: لزومُ الجماعة، والسمعُ والطاعةُ لولاة الأمور في غير معصية.

أخرج الترمذي (رقم: 2582)، وابنُ ماجه (رقم: 3047)، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «المشكاة» (رقم: 228) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « نَضَّرَ الله امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، وَحَفِظَهَا، وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ. ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ ».

العلاج الثالث: سؤالُ الله الهدايةَ.

أخرج مسلم (رقم: 4674) عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَىٰ عَنْ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَّهُ قَالَ: « يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ».

وأخرج مسلم وأهل السنن عدا النسائي عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ ﷺ: بِمَ كَانَ يَسْتَفْتِحُ النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَئِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

العلاج الرابع: أخذُ العلم عن أهله، والصدورُ عن قولِ العلماء، لاسيما في القضايا العامة.

إنَّ طلب العلم علىٰ أيدي العلماء الراسخين سبب عظيم من أسباب عدم الوقوع في الغلو في الدين، لاسيما في القضايا العامة، التي تمس واقع الأمة، كما قال الله جل وعلا: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَىٰ الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾. [النساء: 83]

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ **في "تيسير الكريم الرحمن"**: هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق. وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلىٰ الرسول ﷺ وإلىٰ أولي الأمر منهم، أهلِ الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها. فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين وسرورا لهم وتحرزا من أعدائهم فعلوا ذلك. وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة، أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد علىٰ مصلحته، لم يذيعوه، ولهذا قال:﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة

وعلومهم الرشيدة.

وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولَّىٰ مَنْ هو أهل لذلك ويجعل إلىٰ أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلىٰ الصواب وأحرىٰ للسلامة من الخطأ.

وفيه: النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام، والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيُقْدِم عليه الإنسان؟ أم لا، فيحجم عنه؟

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ أي: في توفيقكم وتأديبكم، وتعليمكم ما لم تكونوا تعلمون، ﴿لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلا قَلِيلا﴾ لأن الإنسان بطبعه ظالم جاهل، فلا تأمره نفسه إلا بالشر. فإذا لجأ إلىٰ ربه واعتصم به واجتهد في ذلك، لطف به ربه ووفقه لكل خير، وعصمه من الشيطان الرجيم. اهـ